خطبة بعنوان: شهر التوبة

يوم الجمعة: ١٠/٠٩/١٤٣٩هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... يعيش المؤمنون شهرهم الكريم وضيفهم العظيم، يتقرب فيه المتقربون، ويتنافس فيه المتنافسون، شهر الطاعة وموسم القربة، باركه الرحمن وخلده القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥] تهفو القلوب فيه إلى خالقها، وتطمع في رحمة باريها.

أيها المسلمون... لا يخلو عبد من ذنب، وعيب ظاهر أو باطن، ((لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)) أخرجه مسلم في الصحيح، وعند ابن ماجه ((كُلُّ بني آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)) والمؤمن الموفق ينظر في حاله ويفتش في نفسه، فإن رأى عيبًا أو قصورًا أو ذنبًا أو معصية، بادر بالتوبة في شهر التوبة، وسارع بالإنابة في موسم الإنابة، فإن رمضان شهر التوبة وموسم الأوبة، تقترب فيه النفوس وترق فيه العواطف، فالمؤمن يجعل من رمضان فرصة للتغيير ومحطة للتبديل وانطلاقة للتقويم والإصلاح والمعالجة .

أيها المسلمون... دعا الله عز وجل عباده إلى التوبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم:٨] وأمرهم بها ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] وعرضها عليهم ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة:٧٤] وفتح لهم باب الأمل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] ووعدهم بالمغفرة ﴿وَإِنِّي

﴿لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:٨٢] ووعدهم بتبديل السيئات إلى حسنات ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

أيها المسلمون... طريق التوبة بالإخلاص لله تعالى فيها، والصدق معه في التوبة والرجوع إليه، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] ﴿...فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١]، فإذا أراد العبد أن يتوب إلى الله تعالى من ذنوبه الظاهرة أو الباطنة، المعلنة أو الخفية، فعليه أن يبدأ بأول خطوة وهي الإخلاص لله والصدق معه، ثم تاب عليهم بأن وفقهم ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة:١١٨].

أيها المسلمون ... طريق التوبة بمجاهدة النفس، ومراغمة الشيطان، ومغالبة الهوى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]

طريق التوبة بالعزيمة القوية، والإرادة الجادة، فإن التوبة تحتاج إلى ذوي الإرادات القوية، والعزائم الصلبة، الذين يتخلون عن عوائدهم السيئة وما ألفوه من الذنوب والمعاصي.

طريق التوبة بلزوم أهل الخير والصلاح ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] عند الترمذي ((لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ)) فإذا أراد الإنسان أن يغير من حاله فعليه أن يغير من بيئته ورفقته وصحبته وجلسائه.

أيها المسلمون... طريق التوبة بتذكر الآخرة والاعتبار بالموت، عند الترمذي ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)) وتذكر الآخرة واستحضار الموت، سياط تضرب العصاة والمذنبين؛ حتى تدفعهم إلى التوبة إلى الله عز وجل، والتخلص من ذنوبهم وآثامهم.

أيها المسلمون... إن رمضان الحقيقي هو الذي يستغله المؤمن في أن يغير من عوائده السيئة، وأخلاقه الذميمة، وسلوكياته المنحرفة، وأن يخرج عليه رمضان بعد أن يتطهر ويتنقى، ويلقي عند عتبته كل الذنوب والمعاصي التي يتحملها أو تحملها طيلة عامه.

أيها المسلمون... إن الاستفادة من مدرسة رمضان تكون بتقوية العزيمة على المضي في التوبة، والسير في الأوبة، والرجوع إلى الله عز وجل مما كان من العبد من الذنوب والمعاصي، فمن كانت هذه حاله فليعلم أنه أدرك رمضان وأصاب حقيقته، ومن لم يكن كذلك فليبادر بالتوبة وليسارع بالإنابة مادام في العمر فسحة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين...

اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.